الباب الثالث

عصر القضـــاة والمـــلوك

الفصل الأول

موسى فى صندوق

القش

يمكننا أن نقول ان عصر الشيوخ والآباء عند بنى اسرائيل ينتهى بموت يوسف • وقد وصفت مجموعة من السير تميزت بألوانها الحية وتصويرها الرائع ، رحلة هؤلاء الشيوخ والآباء من شواطىء الفرات الى شواطىء نهر النيل • وهنا يترك المؤرخ هذه الحقبة من الزمن لفترة يسدل فيها الستار على الفصل الأول من تاريخ بنى اسرائيل • وعندما ارتفع الستار مرة أخرى على المشهد نفسه ، كانت قد ولت حقبة من الزمن تقدر بأربعمائة سنة نمت فى أثنائها أسرة الشيوخ وأصبحت أمة • من هنا يبدأ تاريخ هذه الأمة وعلى رأسها يقف موسى بشخصيته القوية ، ذلك المشرع والقائد الكبير الذى قيل انه خلص شعبه من العبودية التى عاش فيها فى مصر ، وقادهم فى تجوالهم عبر الصحراء العربية ، وشرع لهم قوانينهم ، حتى توفى فى نهاية الأمر على مرأى من أرض الميعاد التى لم يقدر له أن يطأها بقدمه •

وعلى الرغم من أننا لا نملك السبب الكافى الذى يجعلنا نشك فى صحة هذه الرواية فى خطوطها العريضة ، فان قصة موسى البطولية ، كما هى الحال فى كثير من قصص الأبطال الوطنيين قد زخرف نسيج واقعها الرزين بخيوط من الخيال المبهج فى العصور المتأخرة • ومع ذلك فان التغيير الذى داخل هذا النسيج لم يكن كبيرا الى درجة أنه لم يدل دون تعرفنا على العناصر الأساسية لهذه الحكاية • فما زالت

الحكاية تمكننا من أن نتخيل ملامح الرجل وهو يرتدى ملابس الساحر البهية الفضفاضة ، عندما واجه فرعون وتسبب فى إنزال المحنة بأرض مصر • وما زال فى وسعنا أن نتخيل الملامح الانسانية من خلال الهالة النورانية لهذا البهاء غير العادى الذى أشرق على ملامح القديس والنبى وهو يهبط من الجبل حيث تحدث مع الرب وتسام باليد شريعة قومه الجديدة • ومما هو جدير بالملاحظة حقا ، هو أنه على الرغم من أن موسى أكثر اقترابا من الحد الفاصل فى تاريخ بنى اسرائيل من سائر شيوخهم الذين سبقوه ، الا أن عناصر الخيال والمعجزات قد داخلت قصته فى عمق أكثر مما داخلت قصص أجداده • فعلى الرغم من أن أجداده قد اتصلوا من جيل لآخر بالرب ، كما قيل ، أما وجها لوجه أو فى رؤياهم ، الا أنه لم يكن أحد منهم صانعا للمعجزات والعجائب التى تكرر حدوثها فى تاريخ موسى • فبينما نراهم هم أمامنا يتحركون بين الناس بوصفهم بشرا ، ومنصرفين للأعمال العامة ، ومشاطرين للناس أفراحهم وأحزانهم ، اذ نرى موسى من ناحية أخرى ، منذ بدء حياته حتى نهايتها ، منعزلا عن الناس لتأدية رسالته ، ومن ثم فقد كان يعيش فى أفق بعيد عن حياة الناس العاديين الفانين ، دون أن تنسب اليه تلك الزلات التى تنسب اليهم ، وهى تلك الزلات التى أضفت ، بلمسة رقيقة من ريشة المصور ، لونا حيا على صور آبائه • ولعل هذا هو السبب فى أن انسانية ابراهيم واسحق ويعقوب البسيطة تمسنا عن قرب أكثر مما يمسنا شخص موسى الذى يتميز بالروعة ، وان يكن يتميز بالانعزالية •

وتحيط ميلاد موسى ، شأن كل أحداث حياته ، هالة من الخيال • فقد قيل ان سلالة يوسف واخوته وهم أبناء اسرائيل ، تكاثرت فى سرعة فى مصر بعد موت يوسف وأخوته ، الى درجة أن أخذ المصريون ينظرون اليهم بعين الفزع وعدم الثقة ، وحاولوا أن يحولوا دون تكاثرهم عن طريق تشغيلهم فى الأعمال الشاقة التى ربما قضت عليهم ، ولكن لما فشلت هذه المعاملة فى تحقيق النتيجة المرغوبة ، أمر الملك المصرى بقتل

أطفالهم الذكور أثر ولادتهم • ولكن لما كانت القابلات اللاتى كلفن بتنفيذ هذا الأمر القاسى يتهربن من تنفيذ ذلك ، فقد أمر الملك شعبه جميعا بأن يطرح كل طفل ذكر يولد للعبريين فى النهر • وعندما ولد موسى فى هذه الظروف ، أخفته أمه أول الأمر طيلة ثلاثة شهور ، ولكنها لما لم تستطع اخفاءه أكثر من ذلك ، فقد صنعت له سفطا من القش ، أو بالاحرى من نبات البردى وطلته بالطين والقار ، ووضعت فيه طفلها • ثم حملت السفط والحزن يملؤها ، ووضعته بين الأعشاب على شاطىء النهر ، ورحلت ، بينما ظلت أخت موسى الكبرى واقفة على شاطىء النهر لتراقب ما يحدث له • وتصادف أن كانت ابنة فرعون ملك مصر ، تستحم فى النهر • فلما أبصرت السفط بين الأعشاب أرسلت احدى خدماتها لتحضره • ولما فتحت الأميرة السفط وأبصرت الطفل ، مدت يدها لتمسكه ، فبكى الطفل • فأشفقت عليه وقالت : « هذا من أولاد العبرانيين » (١) وبينما كانت تنظر للطفل ، جاءتها أخت الطفل ، التى كانت ترقب من بعيد ما يحدث وقالت للأميرة : « هل أذهب وأدعو لك مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد • فقالت لها ابنة فرعون ، اذهبى • فذهبت الفتاة ودعت أم الولد • فقالت لها ابنة فرعون اذهبى بهذا الولد وارضعيه لى وأنا أعطيك أجرك • فأخذت المرأة الولد وأرضعته • ولما كبر الولد جاءت به الى ابنة فرعون فصار لها ابنا • ودعت اسمه موسى وقالت لأنى انتشلته من الماء » (٢) •

وعلى الرغم من خلو قصة ميلاد موسى وترعرعه فى كنف أمه ثم فى كنف ابنة فرعون من العناصر الخارقة للعادة ، الا أنها تحتوى على ملامح يمكننا أن ننسبها ، بعد شىء من التدبر ، الى مجال الفولكلور أكثر من أن ننسبها الى التاريخ • اذ يبدو أن القاص ، لكى يزخرف معجزات حياة البطل ، رغب فى أن يحكى كيف تعرض الرجل العظيم

---

(١) سفر الخروج ، الاصحاح الثانى آية ٦ .
(٢) سفر الخروج ، الاصحاح الثانى من آية ٧ الى ١٠ .

أو المرأة العظيمة للخطر ساعة ميـــلاد الطفل ، وكيف أن الطفل لم ينقذ من الموت المحقق ، الا من خلال حادثة تبدو للعين العادية أنهـــا حدثت صدفة ، وان تكن قد أثبتت حقا أن يد القدر قد تدخلت لتنقذ الطفل المعجز من أجل المصير الكبير الذى ينتظره • ومثل هذه الأحداث ينظر الهـــا فى كثير من الحالات بوصفها زخرفة اخترعها القاص • ولمسات تصويرية أضافها لكى يسمو بتأثير القصة البسيطة التى رأى أنها لا تليق بجلالة هذا الموضوع •

وقد تعرض مؤسس روما نفســـه ، وذلك وفقا للحكاية الرومانية ، فى طفولته للخطر • وربما كان مصيره الهلاك ، لولا تدخل العناية الالهية وارسالها ذئبة وطائر نقار الخشب • وتجرى هذه الحكاية على النحو التالى : لقد كانت تقع مـــدينة « ألبا لونجا » تلك المـــدينة البيضـــاء الشاسعة ، عند منحدر جبال ألبان ، وكانت تحكمها أسرة من الملـــوك تدعى أسرة « سيلفى » أو أسرة « الغابات » • وفى هذه الفترة من الزمن كان الرعاة ما يزالون يرعون قطعان ما شيتهم على تلال روما ، وكانت الذئاب ما تزال تعوى فى الممرات المعشبة التى كانت تقـــع بينها • وحدث فى هذا العصر أن كان لأحد ملوك « ألبـــا » ، وكان يدعى « بزوكا » ابنان ، أحدهما كان دعى « نوميتر » ، والآخر « أموليوس»• وكان « نوميتر » هو الأخ الأكبر ، ومن ثم فقد عينه أبوه خليفـــة على العرش من بعده • ولكن الأخ الأصغر الذى كان طموحا وان كان عديم الضمير ، سعى فى ابعاد أخيه الاكبر عن العرش بالقوة لكى يحل محله• ولم يكتف الأخ الأصغر بذلك ، وانما دبر مؤامرة ليحصن بها قوتـــه المغتصبة وذلك بأن يحرم أخاه المظلوم من أن يكون له وريث من بعده • ومن أجل هذا أمر بقتل ابن « نوميتر » الوحيـــد ، كما أغـــرى ، أو بالأحرى أرغم ابنته التى كانت تدعى « ريا سيلفيا » ان تكرس حياتها لعبادة الالهة « فستا » (١) ، وأن تقسم على أن تظل عذراء طـــوال

---

(١) الهة النار عند الرومان . (المترجمة) .

حياتها • ولكن « سيلفيا » أصبحت فيما بعد فى حل من هذا القسم عندما اكتشفت أنها حامل • وقد ولدت فيما بعد توأما ذكرا ادعت أن الاله مارس أبوهما • ولكن عمها القاسى لم يسلم بهذا الادعاء وأمر بأن يرمى بالولدين فى النهر • وقد كان نهر « التيبر » فى ذلك الوقت قد فاض وأغرق شواطئه بحيث لم يتمكن الخدام الذين كلفوا باغراق الطفلين ، من الوصول الى النهر ، واضطروا أن يتركوا الصندوق الذى وضع فيه الطفلان فى المياه الضحلة عند سفح تل « بلاتين » ، وهناك تركوا الطفلين لمصيريهما • فلما بكى الطفلان جذب صراخهما ذئبة • فجاءت نحوهما وأخذت ترضعهما بلبنها وتعلق الأوساخ عن جسميهما • وقد خلدت هذه الحكاية فى شكل تمثال من البرونز لذئبة توضع طفلين ، وظل هذا التمثال منتصبا فى مكان الحادثة طيلة عصور الأباطرة ، ثم حفظ فيما بعد فى متحف الكابيتولين فى روما حيث لا يزال موجودا به حتى اليوم • وقد روى البعض أن طائر نقار الخشب كان يساعد الذئبة فى اطعام الطفلين وفى حراستهما • حيث ان كلا من الذئب وطائر نقار الخشب كانا مختصين بعبادة الاله مارس ، فقد أثار هذا الحادث من جديد الجدل حول بنوة الطفلين الالهين لكل من « روغولوس » و « ريموس » •

ويبدو أن هذه الحكايات العجيبة كانت تحكى بصفة خاصة عن مؤسسى الممالك والدول ، هؤلاء الذين ضاع مع الزمن نسبهم وتاريخ نشأتهم • ومن ثم فقد ملأ القاص هذه الفجوة التى خلفتها ذاكرة الانسان بأحداث من خياله • وقد أمدنا تاريخ الشرق بمثال لمثل هذه القصص السحرية التى ألقت الضوء على بداية عهد الامبراطورية القوية ، فقد كان « سرجون » الأكبر أول ملك سامى حكم بابل فى حوالى سنة ٢٦٠٠ ق • م • وقد استطاع هذا الملك أن يخلد اسمه عن طريق انتصاراته الرائعة وأعماله البناءة ، ولكنه على الرغم من ذلك فانه لم يكن يعرف له أبا • وهذا هو كل ما نعرفه من النقوش التى قيل انها كانت قد نقشت على أحد تماثيله • وقد نسخت هذه الكتابات

فى القرن الثامن قبل الميلاد وأودعت فى المكتبة الملكية فى نينوى حيث اكتشفت فى العصر الحديث • وفى هذه الوثيقة يحكى الملك تاريخ حياته المبكرة على النحو التالى :

أنا « سرجون » ، الملك القوى ، ملك أكاد
كانت أمى سيدة متواضعة ، أما أبى فلا علم لى به
ولكن عمى كان يسكن الجبال
ومدينتى هى « أزوربيانو » التى تقع على شاطىء الفرات
وقد حملتنى أمى المتواضعة وولدتنى سرا
ثم وضعتنى فى سلة من الأسل وأحكمت اغلاقها بالقار
وطرحتنى فى النهر الذى لم تغرقنى مياهه
ثم حملنى التيار الى السقاء « أكى » فحملنى معه

« أكى » السقاء ••• انتشلنى من المياه
« أكى » السقاء كفلنى كما يكفل ابنه

« أكى » السقاء عيننى بستانيا له
وبينما كنت أعمل بستانيا ، أحبتنى الالهة عشتروت
ولمدة أربع سنوات حكمت المملكة
وحكمت الشعوب ذات الرءوس السوداء وأخضعتها •

ونشبه حكاية ابعاد الطفل سرجون فى سلة من الأسل وضعت عند شاطىء النهر حكاية ابعاد موسى الطفل فى سفط من القش الذى وضع بين الأعشاب عند شاطىء النيل • وحيث أنه ليس هناك مجال للشك فى أن الحكاية البابلية أقدم بكثير من الحكاية العبرية ، فانه يترتب على هذا أن كاتب سفر الخروج ربما كان يعرف الحكاية البابلية ، وانه ألف الحكاية العبرية على نمطها • على أنه من المحتمل من ناحية أخرى أن تكون الحكايتان قد نشأتا مستقلتين من الجذور العامة للخيال الشعبى • ومن ثم ، فحيث اننا نفتقر الى دليل يمكن أن يحسم فى تأثر

أى الحكايتين بالأخرى ، فلا مجال اذن لأن ندلى بوجهة نظر فى هـذا الموضـوع •

على أن النظرية التى تقول باستقلال احدى الحكايتين عن الأخرى يؤيدها الى حد ما وجود أسطورة هندية مماثلة لهاتين الحكايتين تحتوى عليها الملحمة الهندية الكبيرة « ماهابهاراتا » • ومن الصعب أن ندعى أن مؤلف هذه الملحمة كان على علم بالحكاية السامية بحيث يكون قد حاكاها فى أسطورته • وتحكى الأسطورة الهندية أن اله الشمس كان قد وقع فى غرام ابنة الملك التى كانت تدعى « كونتى » أو « بيريث » ، وولدت منه ابنا « جميلا كالأفلاك السماوية » • وقد ولد هذا الابن « متمنطقا بالسلاح ، ولابسا قرطا ذهبيا وضاء ، وله عينا أسد وكتفا بقرة » • ولما خشيت الابنة من أن يفتضح أمرها ، ومن غضب أمها وأبيها منها ، « وضعت » ابنها ، بناء على نصيحة خادمتها ، فى سلة لا تتسرب اليها المياه ، وغطته بملاءات لينة ناعمة مصنوعة من خيوط الأماليد المجدولة ، ووضعت تحت رأسه وسادة جميلة ، ثم أسلمت السلة لنهر « آسفا » والدموع تترقرق فى عينيها » •

وبعد ذلك عادت الى القصر وقد كتمت أحزانها فى قلبها ، حتى لا يفضح وجهها الحزين سرها • وحمل التيار السلة وبداخلها الطفل حتى أوصلها الى نهر الكنج الذى حملها بدوره الى شاطىء مدينة « تشامبا » التى تقع فى مقاطعة « سوتا » • وتصادف أن كان رجل من قبيلة « سوتا » يسير مع زوجته على شاطىء النهر ، عندما وقع بصره على السلة ، فجرها من الماء • وعندما فتحها أبصر طفلا « جميلا كشمس الصباح ، متمنطقا بدرع ذهبى ، ويزين وجه الجميل قرط براق » • ولما كان هذان الزوجان لم ينجبا أطفالا ، فقد قال الرجل لزوجته عندما وقع بصره على الطفل الجميل : « لقد أرسلت لى الآلهة هذا الطفل بكل تأكيد لعلمها أننى لم أنجب أبناء » • ومن ثم

فقد تبنى الزوجان هذا الطفل الذى ترعرع فى كنفهما ، وأصبح راميا بارعا للسهام وأطلقا عليه اسم « كارثا » • أما أم الطفل فقد كانت تعلم أخبار الطفل أولا بأول عن طريق جواسيسها •

وشبيه بهذه القصص ما يحكى عن « تراكهان » ملك « جيلجيت » ، وهى بلدة تقع على ارتفاع خمسة آلاف قدم فوق سطح البحر فى قلب جبال الهملايا الثلجية • ولما كانت « جليجيت » تتميز بجوها وموقعها المتوسط ، كما كانت تشتمل على مساحة شاسعة من الأراضى الخصبة ، فقد كانت مركزا لحكام تعاقبوا عليها عبر الأجيال ، فرضوا سيطرتهم فى قليل أو كثير من العنف على الأودية والممالك المجاورة • من أشهر هؤلاء الحكام بدون منازع كان الملك « طرخان » الذى كان يحكم فى حوالى مطلع القرن الثالث عشر ، وكان ، فيما روى ، أعظم هؤلاء الحكام وأكثرهم زهوا ، ومازال الناس يشغلون أنفسهم بروايات حكايات عن كنوزه وأفعاله • وتجرى حكاية ميلاده وابعاده على النحو التالى : كان والد طرخان واسمه « ترا ــ طرخان » ملكا على جيلجيت ، وكان متزوجا من امرأة تنتمى الى عائلة ثرية فى « داريل » • ولما كان الزوج يهوى لعبة البولو ، فقد تعود أن يذهب الى « داريل » كل أسبوع ليمارس لعبته المحبوبة اليه مع اخوة زوجته السبعة • وذات يوم كان الجميع يلعبون بحماس بالغ الى درجة أنهم اتفقوا فيما بينهم أن الغالب فيهم يحكم على الآخرين بالموت • وقد كانت المباراة طويلة وحامية ، ولكن الملك أحرز النصر فى نهاية الجولة ، ونفذ الحكم فى الاخوة السبعة بوصفه رياضيا صادقا • وعندما رجع الى بيته بروح عالية بدون شك ، وأخبر زوجته بنتيجة المباراة المؤلمة ، وان كانت محتمة ، كانت الملكة أبعد من أن تشاركه فرحه بنصره ، بل انها استاءت لجريمته ، أو بالأحرى بتنفيذه حكم الشنق فى اخوتها السبعة ، وعزمت على أن تنتقم لهم منه ، فوضعت له الزرنيخ فى طعامه ، فهلك فى الحال وحكمت بدلا منه • وكانت الملكة تعلم ، وهى تتخذ هذه الخطوة الجريئة، أنها حامل من الملك • ثم وضعت طفلا ذكرا بعد وفاة زوجها بشهر ،

وسمت ابنها « طرخان » • ولكن الأم كانت ما تزال حزينة كل الحزن على فقد اخوتها الى درجة أنها لم تطق النظر الى ابن قاتلهم • ومن ثم فقد وضعت الطفل فى صندوق خشبى ورمت به سرا فى النهر • فحمل التيار الصندوق بعيدا الى « هودار » وهى قرية تقع فى ضاحية « تشيلاز » • وتصادف أن كان أخوان فقيران يجمعان الحطب من من الشاطىء ، عندما أبصرا الصندوق يطفو على الماء ، ولما كانا يعتقدان أن الصندوق ربما احتوى على كنز ، فقد غاص أحدهما فى الماء وجر الصندوق الى الشاطىء • وحتى لا يثير الأخوان فضول الناس إذا ما سارا بالصندوق الذى يحمل الكنز المتوقع عاريا ، فقد أخفياه بين عيدان الحطب وسارا به الى بيتهما • وعندما فتحا الصندوق، فوجئا لدهشتهما بأن بالصندوق طفلا حيا جميلا • فتسلمته منهما أمهما وشملته برعايتها • ويبدو أن الطفل كان قد جلب معه البركة لأهل البيت ، اذ سرعان ما أخذت تبدو على الأسرة التى كانت معدمة من قبل ، امارات الثراء • وتفاءلت الأسرة بالطفل الذى كان سببا فى هذا الخير • ولما شب الطفل عن الطوق وبلغ الثانية عشرة من عمره ، شعر برغبة شديدة فى زيارة « جيلجيت » التى طالما سمع عنها الكثير من الأخبار • فرحل اليها فى صحبة أخويه فى الرضاع • وفى أثناء الطريق، مكثوا بضعة أيام فى مكان يسمى « بالداس » ، كان يقع على قمة تل من التلال • فى هذا الوقت كانت أم الصبى الملكة ما تزال تحكم فى جليجيت ، وكانت قد وقعت فريسة للمرض • ولما لم يكن هناك من يخلفها فى الحكم ، فقد أخذ شعب جيلجيت يبحث عن ملك غريب ليحل محلها • وذات صباح ، وبينما كانت كل شئون الدولة معلقة بظهور الملك الجديد ، أخذت ديوك القرية تصيح • ولكنها لم تصح صياحها المألوف ، « كوك آه دودلى ــ دو » بل صاحت :« بلداس ثام بايبى » • ومعنى العبارة « هنا ملك بينكم فى بالداس » • واثر ذلك أرسلت الرسل الى « بلداس » لتحضر كل شخص غريب تقع عليه أبصارهم • وتقابل الرسل مع الأخوة الثلاث الغرباء وأحضروهم

الى الملكة ، ولما كان « طرخان » ممشوق القد ذا هيبة ، فقد أخذت تتحدث معه دون اخوته ، ومن خلال حديثها معه عرفت قصة حياته . ولشدة سعادتها عرفت أن هذا الغلام الجميل هو ابنها الذى فقدته عندما رمت به فى النهر وهى فى غمرة حزنها على فقد اخوتها ، وحنقها على زوجها الراحل . وعند ذاك احتضنت الأم ابنها ونادت به ملكا على جيلجيت من بعدها .

وقد افترض بعض الباحثين أن الحكايات الشبيهة بحكاية ابعاد موسى الطفل وطرحه فى الماء بقايا عادة قديمة كانت تتبع بقصد اختبار بنوة الأطفال الشرعية لآبائهم . فقد كان الأطفال يطرحون فى الماء حيث يتركون لمصيرهم . فاما أن يطفوا ، أو يستقروا فى قاع الماء . والطفل الذى يطفو يعد طفلا شرعيا ، أما الطفل الذى يستقر فى الماء ، فان المجتمع يرفضه بوصفه ابنا غير شرعى . وربما اتضح فى ضوء هذا الفرض ، أن ميلاد الطفل فى كثير من الحكايات السابقة يصور على أنه حدث خارق للعادة ، ويرتبط بهذا ميل المتشككين الى اعتبار الطفل مرادفا للشىء الخارج عن المألوف . ومن ثم حكت الأسطورة الاغريقية أن كلا من الطفلين « برسيوس » ، و « تيليفوس » كانا ابنى الاله زيوس ، وبالمثل البطل هرقل . كذلك حملت الأم العذراء فى التوأم « روموولوس » ، فى الأسطورة الرومانية، عن طريق الاله « مارس » . كما عزت الأميرة فى الملحمة الهندية ، حملها فى ابنها لاحتضان اله الشمس لها . أما فى الحكاية البابلية من ناحية أخرى فقد كان الملك سرجون ، أقل حظا من أبطال الاغريق الهنود والرومان ، أو لنقل أكثر صدقا منهم ، عندما اعترف فى صراحة بأنه كان يجهل أباه . أما حكاية التوراة فلم تذكر شيئا عن شرعية بنوة موسى . لكننا اذا تذكرنا أن عمران والد موسى كان متزوجا من عمته ، وأن موسى كان ثمرة هذا الزواج ، واذا تذكرنا أن القانون العبرى المتأخر قد أبطل مثل هذا الزواج باعتباره زنا ، فربما ساورنا الشك ، ونرجو ألا نتهم بالتعسف فى هذا الشك ، أن أم موسى فى

الشكل الأصلى الحكاية كان يدفعها سبب خاص فى طرح ابنها فى النهر ، وأنها لم تفعل هذا رضوخا لأمر عام صدر من فرعون بطرح كل أطفال العبريين فى الماء • ومهما يكن الأمر فى الحكاية العبرية فانه يبدو أنه كانت من عادة الشعوب الأخرى ، أن تطرح الطفل فى الماء لتقرر ما اذا كان الطفل شرعيا أم غير شرعى ، ومن ثم كانت تقرر الابقاء عليه أو اعدامه • فقد قيل ان الكلتيين كان يحكمون نهر الراين فى أمر شرعية أبنائهم أو عدم شرعيتهم ، فقد كانوا يرمون أطفالهم فى النهر ، فاذا كان الأبناء أولاد زنا ، آغرقهم النهر المتجهم ذو المياه الصافية • أما اذا كانوا أبناء شرعيين ، حملهم النهر فى رفق على سطحه ، ودفعهم الى أحضان أمهاتهم اللاتى كن يقفن مرتجفات فى انتظار حكم النهر • وبالمثل حكى الناس فى افريقيا الوسطى للمكتشف « سيكى » عن حاكم مشهور كان يسكن بالقرب من « أوروورى » احدى ضواحى « أونيبورو » التى تتبع ولاية « كيميزبرى » ، أنه كان يزين أطفاله بالخرز ويرمهيم فى نهز نيانزا لكى يتأكد من شرعية بنوتهم له • فاذا غرق الأطفال فى الماء ، كان ذلك دليلا على أنهم ينتسبون لأب آخر ، أما اذا طفوا ، فانه يعيدهم الى حضانته •